ألْسِنةُ الصَّمت

الكتاب: أَلْسِنةُ الصَّمت

تأليف: عيسى مشعوف الألمعي

تدقيق لغوي: سماء أحمد

تصميم الغلاف: شِرهازعلي

تنسيق: سماء أحمد

الطبعة الأولى: 2026

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

١٤ عماد الدين - وسط البلد – القاهرة

+01211149678

جميع حقوق النشر محفوظة

"ألسِنةُ الصَّمت"

عيسى مشعوف الألمعي

إهداء

إلى القارئ الذي يجد جزءًا من ذاته بين هذه النصوص.

"يعيش القارئ ألف حياة قبل أن يموت الرجل الذي لا يقرأ يعيش حياة واحدة فقط"

- جورج مارتن

مهجَّر

أراد المغادرة، منعوه، طلبوا منه البقاء، قصَّ عليهم التضحيات، قرأ لهم شيئًا من الجغرافيا، ذكَّرهم بالتاريخ والسِّير والعبر والذكريات، لعلهم يتذكرون، انتابهم الحزن، دمعت عيناه وهو يشير بأصبعه إلى مكانٍ على الخريطة، تمتم بأسى: كان هنا وطني.

هلاوس

حدَّق في الساعة، نظر في الشمس، أدار الكرة الأرضية، رسم دائرة في الجدار؛ اكتشف كروية العقل.

عِقاب

نظرَ في المرآةِ، لم يجد وجهه، تحسَّس مكانه، انتابه الجزع، شعرَ بوخزِ القلق، عصر ذاكرته، يبحث عن السبب... تذكّرَ كم سَفَحَ وجههُ من ذلِ السؤال.

انتحار

تشبث بالنافذة بكلتا يديه، أصابهُ الهلع، سال عرقه، سمع الناس في الشارع يطلبونَ منهُ الصمود... حتى يتم إنقاذه، عيونهم شاخصة عليه، يدعون الله ألاَّ يسقط وهو يستغيث، حتى خارت قواه وسقط من السرير.

مدرسة

كنت كل يوم أسمع في مدرسة أمي درس أو حكمة أو نصيحة أو مثل... وهي توصيني أن أفهمها قبل أن أحفظها، لم تقل لي لا تحزن، لكن... مع الأسف، ماتت أمي قبل أن أَسمّع لها الدرس الأخير عن "بؤس الحياة بدونها".

أنسنة البوح

كنت كالعريس في الفرح، طفل يرقص بثوبٍ مهتور، أخذني الأب الطيَّب بيدي إلى ابنته العروس؛ لتخيط لي ثوبي الأسود، وقفتُ ساكنًا رأسي إلى السماء وعَرَقي ينزُّ من وجنَتَي وهي تُحضّر الخيط والإبرة كطبيبٍ يستعد لإغلاق الجرح، ثم همّت بالثوب تخيطه وأنا أرتديه، همَسَتْ في أذني:

" لا تخف.. أنا مثل أختك "ذبتُ خجلًا، فلم يكن تحت الثوب ملابس داخلية.

آهٍ

أنا واخوتي الأربعة كل مرة نتواعد أنْ نلتقي في بيت أمي، نُسعدها بحضورنا، واجتماع كلمتنا، ونؤنسها لبعض الوقت... لكن ظروف الحياة أشغلتنا عمَّا نحن بصددهِ، فنؤجل اللقاء إلى يوم آخر، ونكتفي بزيارتها فرادى بين الفينة والأخرى، بينما كانت أمي تُريدنا أن نزورها معًا، وفي كل مرة تسألنا متى نجتمع عندها؟

وحين اتفقنا على زيارتها مجتمعين كان ذلك حول قبرها وقت دفنها.!

عسل وردي

ثمة أشياء تبعث على الحزن ، تجعلها تبدو ضعيفة منكسرة ، تجلس مستمعة لمستشارة نفسية وهي تسرد لها العلاج المعنوي ، لقد فشلت في تجارة العسل ، والذي يدر أموالاً طائلة على أصحاب النحل، لقد خسرت كل ما جمعت مثل نحلة جمعت الرحيق من الأشجار ثم عُصِرَ في وقت السدرة، تتحسر على موت نحلها البلدي بهذه الطريقة ، بسبب هجوم النحل المستورد عليه ، كان خطأها الفادح حين اختارت المكان الخطأ ؛ عندما وضعت خلاياها في طريق النحل القاتل المستورد. فهاجمه بقسوة وفتك به، حدّثت نفسها : " بعض الأخطاء قاتلة " ضاقت بها الدنيا لإحساسها بالفشل ، تنصت إلى وساوس مخيفة ومقلقة تراودها :

-لا تيأسي لا تنهزمي.. أنتِ قوية ..كرري المحاولة ، تقول لها المستشارة ، تحاول الرفع من معنويتها ، وهي مصغية تذرف الدموع ، تذكرت المال الذي جمعته

لسنوات وذهب في مشروع فاشل ، تحاول أن تتماسك أن تجمع قواها المبعثرة ، قررت أن تعيد الكرّة، أن تأخذ قرضا ميسراً ، لقد أصبح لديها خبرة ، وعليها ألاّ تقع في نفس الأخطاء ..بدأت في أخذ مشورة أهل الخبرة ، من نحالي القرى الذين لهم باع طويل في تربية النحل، دونت كل شيء في ورقة ثم شرعت في جمع الخلايا مجدداً، واختارت المكان والزمان المناسبين والمواسم المثمرة بعد هطول الأمطار ، شهور وهي تراقب النحل لا تكاد تبرح المكان .. بدأت تحس بأن محاولتها تكاد تكون مختلفة، لقد كان موسماً غنيا بالرحيق، حان وقت جلي العسل من الخلايا وعصره في علب زجاجية والذهاب به إلى السوق لبيعه .. لكنها تفاجأت بأن نحلها ينتج عسلاً وردي اللون !...

جدول الضرب

كنّا خمسة تلاميذ نقف خلف بعضنا ترهقنا ذِلّة،
أصابعنا يابسة ، نرتجف من البرد ،كنت أقدّم رجلا وأَخّر
رجلا انتظر دوري في تأديب المعلم لنا، لم نحفظ ذلك
الجدول الصعب. كانت لحظات الانتظار أشد ألما علي
من وقع الخيزران على كفي الغَضْ.

عرش النمل

اختلف النمل من يكون كبيرهم، بعد وفاة قائدتهم ، كلٌ يرى أنه الأحق بتاج قرية النمل ، على حزبين افترقوا ، فريق في النور يمثله النمل الأبيض ، وهو الذي يعمل نهاراً ، وفريق في الظلام يمثله النمل الأسود ، وهو الذي يعمل ليلاً ، على نملتين مشهورتين بالحكمة اقترعوا ..واختلفوا .. استهموا.. ولم يتفقوا .. وبعد مشاورات ومداولات نثروا بذور الأحقاد والشحناء والتباغض في بيت النمل.. اتفقوا على التصويت كحلٍ أخير ،ليتحول سرب النمل بعد ذلك إلى مجتمع الصناديق .

كنف

يشاهد أبناءه يختصمون أمامه يَهُمُّ بالخروج "ليَفرَع" بينهم. لكن يمنَعهُ برواز الصورة.

حلاب السراب

في الصباح الباكر يتثاءب " معدي " بعد نوم متقطع، ينثر على وجهه الماء بتعب، يفرك عينيه من ألم الحساسية، لقد بدا منذ فترة شاحب الوجه نحيف الجسد... يتألم بصمت ويحتسب أجر الصبر، لقد ذهب لأطباء كُثر وكل مرة يعود بكيس ممتلئ بالأدوية، يرتدي ثوبه الملون البالي وشماغه الأحمر الذي أخرج فتاله، بينما زوجته "كبيرة " تسرد له طلبات المطبخ، وهو يتصفح جدول يومه المتشابه، من البيت إلى المدرسة إلى عمله، يتذمر من طلباتها التي لا تنتهي... كبيرة، متى تودعيني بلا طلبات؟! فترد عليه بتهكم:

- إذا رجعت إلى البيت لا تسأل عن الغداء...!

- المشكى على الله، يصيح على أطفاله بأن يسارعوا في ارتداء ملابسهم... هيا يا أولاد أسرعوا، بدأ الطابور.

- تلحقه كبيرة لدى الباب: معدي، لا تنسى أن تأتي لي بدواء السكر والضغط.

- يضع أصبعه على أنفه ويتمتم: الله المستعان، يذهب إلى جهته يحمل أطفاله في سيارته القديمة إلى مدرستهم، يتثاءبون وينعسون بينما هو يسرد لهم النصائح الصباحية، لا يشتكي منكم أحدٌ وانتبهوا لشرح المعلمين، وحافظوا على أقلامكم وكراساتكم... يتذكر همومه فيصمت، على كاهله يحمل مسؤوليات وديون، يفتح الراديو على قرآن الصباح؛ لينشرح صدره الممتلئ بالوجع، يتنهد بألم، ومع كل ذلك يتفاءل بيوم مختلف، منذ شبابه لا يفتأ... يدعو عند كل هم يصيبه:

- الله يفرّجها من عنده... يوصلهم إلى باب المدرسة، وهو يدعو لهم بالصلاح والتوفيق، يهوجس في طريقه بحسابات لا تنتهي "كم عليه من التزامات ؟وكم باقي من العمر؟ ومتى تنتهي ديونه؟" يجمع ويقسم ويطرح ويضرب... والمُحصّلة؛ سلف ودَين يتراكم وعمر ينقضي، يحدث نفسه:- "من يبدأ حياته بالدَين سيموت وهو مديون!".

يصل مقر عمله، يجابه المدير، يلقي عليه السلام بفتور، أطفاله الخمسة يكبرون وتزيد طلباتهم، يعيش طول الشهر على السلف، الكل يطلبه في نهاية كل شهر: بيته وسيارته وعائلته والدائنون، يحاول معدي الصمود ويتظاهر بالارتياح، يستمع لمزاح الزملاء في مقر عمله؛ بأنه يملك رصيدًا كبيرًا في حسابه وأنه يتظاهر بالفقر، يتمنى ويبتسم لهم بتعجب ويتوعدهم مازحًا؛ بأنه سيقاضيهم على هذه التهمة المفتراة! يعود من عمله منهكًا، يحمل أطفاله وطلبات زوجته كبيرة، يجلسون للغداء "إدام وخبز" يحمد الله على النعمة والعافية، بينما زوجته كبيرة منهمكة في الغسيل والنظافة... وكم من مرة طلبت منه أن يأتي لها بشغالة تساعدها في شؤون المنزل! لقد زاد الحُمل عليها، وهو يكتفي بالسخرية منها:

- إذا بعت القصور والمزارع والأراضي فأبشري بالخدم والحشم... يقولها بأسى: كأنكِ لا تعرفين الحال! ثم يعقب... خلينا نمد لحافنا على قد أرجلنا إلى أن يأخذ الله وداعته... ويضع رأسه على المخدة لأخذ غفوة قبيل العصر .

ضغث

يسمع صوت إنسان في الحلم، يقول له:

- لن تبقى على حالك البائس، أنت تملك الكثير، يحاول أن يصغي له بتلهف، يسمعه يقول:

- لديك كنز في... يستيقظ وهو يتحسر.

قلق

يرمق الذباب وهو يحوم حول الكأس الممتلئ بالشاي الساخن، عين في الكتاب وعين على الذباب... يهشّهُ بيده مرارًا ويعود، كان يقرأ في كتاب (دع القلق وأبدأ الحياة).

بعد دقائق يختفي الذباب من المكان، يشعر بالارتياح، يرتشف من الكأس رشفة ليجد الذباب في فمه.

مَعرّاج

في سابق المدَّة...

سطىَ اللصوص على أحد المنازل ليلًا، سحبوا الخراف بالحبال من أسفل البيت إلى السطح، من النافذة شاهد الراعي كل ما يجري، دُهُشَ عندما رأىَ خرافة تصعد تباعًا إلى الأعلى، وفَسّرَ ذلك قائلًا:

"عَجْمَاء وعُرْجَ بَها".

انكسار الصمت

جثى على ركبتيه حزينًا كيئبًا يتجرع مرارة الفشل والخسارة، يسأل نفسه:

"كيف حدث هذا؟ لماذا خسرت وأنا الفائز دائمًا؟! لقد استعدت جيدًا للنزال، ولكن، صارت الأمور عكس أمنياتي، هل كنت واثقا كثيرًا؟ هل تكبّرت على خصمي؟".

رمى بجسده المنهك على تلك الكنبة القديمة يتحسس كدمات على وجهه، أرسل عينيه في السقف، الذي بدا له كأنه يمور، وحوله الصمت والقلق والجدران.

منذُ كان طفلًا يتيمًا رضيعًا شرب الإصرار والعزيمة مع حليب أمة المرضعة، وعاش صلبًا كمسمارٍ لا يرحم الخشب، كانت هوايته الملاكمة، يتدرب على الأشجار، وعلى كل ما يعترض طريقه، وفي المدرسة كان يلاكم أقرانه بكفين قويين، سمع عن الملاكم "كلاي" وشاهده في التلفزيون وتأثر به، وحين أصبح شابًا مراهقًا دخل مركزًا رياضيًا في مدينته، تدرب على يد مدرب الملاكمة، حتى اشتد ساعده، كان الجميع يعولون عليه كثيرًا، لقد فاز في جولات تدريبية كثيرة، سطع نجمه وأصبح له شأن، خاض نزالات كثيرة تغلب فيها جميعًا، ذاع صيته في الأوساط الإعلامية، بدأت الصحف تكتب عنه، والمواقع تنشر مقاطع من نزالاته، بدأ يستعد للنزال الذي يجعله بطلًا محليًا وربما عربيًا...، يسمع توجيهات المدربين له، لا يسهر، ويتغذا جيدًا، ويتدرب كثيرًا، هذا هدفه الذي انتظره طويلًا يلوح له في الأفق...

جاء موعد النزال المرتقب، كانت الأضواء مسلطة عليه والتوقعات محسومة لصالحه، بدأ النزال مع خصم مغمور ضعيف البنية الجسدية، أحسَّ بدوار في رأسه، لكنه صمم على الفوز، حاول أن يتحامل على نفسهِ، طلب وقت مستقطع، لجأ إلى حبال الحلبة مرات

عديدة، سدَّد لخصمهِ لكماتٍ قوية، لكن بلا جدوى، في النهاية سقط في الجولة الثالثة بالضربة القاضية؛ بسبب الدوار الذي جعله لا يرى خصمه، بينما حُمل خصمه على الأكتاف والكاميرات تلاحقه...

عاد منكسرًا متواريا عن الأنظار، لم يعد أحدًا يسأل عنه...

حدّث نفسه بأسى: "الكل مع القوي المنتصر، والمهزوم ليس له مكان، إنها شريعة البقاء للأقوى"

قرر اعتزال الملاكمة والبحث عن لقمة العيش في مواقع التواصل، يتحدث في بثوثه عن الثبات والعزيمة والإرادة... بحساب (ملاكم سابق).

مخيل

نَصَبَ فزَّاعة على هيئة إنسان يرتدي ثوبًا أبيضَ وشماغًا أحمرَ؛ لإخافة القرود التي تهاجم منزله كل صباح وتنثر القمَامَة...

في صباح اليوم التالي، عاثت القرود فسادًا في المكان واختفت الفزّاعة...

تراجع

دلف إلى العيادة، حجز رقمًا، جلس في الانتظار، شاهد الوجوه، يتمنى أن يكون وسيمًا مثلهم...

استلقى على السرير المخصص، ما إن بدأ اخصائي التجميل في جلسة الليزر حتى شعر بوخز الضمير... كأنه يهمس له: "أنتَ كنت جميلًا!"

أمسك بيد الاخصائي ونهض من على سرير الجلسة، وقبل أن يهم بالخروج من الغرفة... وقف ينظر في المرآة لوجهه الزاهي، حدث نفسه: "أعطاني الله وجه جميلًا ولحية جذّابة وأنا بغبائي كدتُ أن أُفسده...!" ثم انصرف فرحًا...!

انتماء

منذُ بدأت خطواتي الأولى تأخذني إلى متاهات الحياة في قريتي الألمعية الصغيرة، والتي تحيط بها الجبال من ثلاث جهات كحدوة الحصان، كنتُ طفلًا بين أبوين رحيمين، أمي معلمة وأبي مُلُهم.

كانت أمي تحرص على تعليمي في المدرسة الحكومية، أقرأ وأكتب، وأبي يريد أن أعيش التجربة في مدرسة الحياة، أرعى الغنم وأزرع الأرض، كنتُ في صراع داخلي مع نفسي ومع من حولي، سألت نفسي: لأي مدرسة أنْتَمي؟ أذهب صباحًا إلى المدرسة ثم أعود قبيل الظهر إلى البيت، أخرج مجددًا مع أبي؛ لرعي الغنم وحماية السنابل من الطيور، أعود عند الغروب إلى البيت منهكًا، لا أعرف كلمة لا ولا أفٌ، أذاكر دروسي على ضوء السراج، أنام متعبًا في حَرٍ أول الليل وبرد آخر الليل، الفقر هو الظُّل الذي يتبعنا في ذلك الزمن.

أمي في الصباح توصني بالدراسة، وعند المساء أبي يحذرني من الغفلة عن الغنم حتى لا يأكله الذئب... وأنا أكتفي بهز رأسي سمعًا وطاعةً.

ذات يوم هربت من المدرسة، آليتُ على نفسي ألاَّ أعود لها، قرار طفولي خطير، أخذت أمي بشحمة أذني تأدّبُني على فعلتي، لم تبح لأبي بشيء قبل أن يسمع ذلك من الجيران، بتُّ تلك الليلة خارج المنزل عقابًا لي، وأمي تذرف الدموع خلف الباب الذي أحكم أبي إغلاقه، وتوعدها بالويل لو فتحت لي الباب، وفي صباح قذفت أمي الحقيبة في وجهي ودموعها تسيل على وجنتيها عتابًا وحزنًا عليَّ، وأمرتني بالذهاب إلى المدرسة، مع قليل من التهديد بعدم ترك المدرسة ثانية، ذهبت وأنا أترنح منهك الجسد سهران أسِفا، كنت أحسُّ بألم في أذني حيث أنشبت أمي أظفارها بالأمس.

في يوم صيفي كنت راعيًا مع الغنم وقبيل الغروب هجم ذئب على الغنم، وأنا طفل صغير ليس بيدي غير عصا أهش بها على الحشرات، كان الذئب شرسًا هرب الغنم مسرعًا وأنا بقيت في مواجهة الذئب وجها لوجه، وهو مكشرًا عن أنيابه كالمخرز، ليس بيني وبينه إلا بضع خطوات، انتابني الهلع، لأول مرة أشاهد الذئب، كُنتُ أسمع عنه من أبي، حاولت استجماع قوتي، وأنفاسي تتسارع، ونبضات قلبي الواجف تمور في صدري كالطاحونة، كان مشهدًا سينمائيًا يحبس الأنفاس، أيقنت

أنني هالك لا محالة، قبل أن تدوّي طلقة من بندقية أبي كانت كفيلة بأن تجعل الذئب يهرب، وله عواء يملأ الوادي، عدت خائفًا ولم تغمض جفوني تلك الليلة، هدّأت أمي من روعي، بينما وبخني أبي ونعتني بالجبان، وأمي أخذت تلوم أبي، ونشب الصراع بينهما تلك الليلة.

نسيت ذلك الموقف بعد أيام، لكني خرجت بتجربة قاسية، سردت القصة لزملائي في المدرسة، وعن شجاعتي الزائفة في مواجهة الذئب، ومن ذلك الحين جعلوني بطلًا، ولم يعد أي تلميذ يسرق فسحتي، كبرت أنا وأحلامي وتجاربي وتخرجت من مدرسة أمي ومدرسة أبي بكمٍ من المعارف والعلوم، لقد استطعت أن أجمع بينهما حتى لا أُغضب أحدهما.

وبعد سنوات رحلت أمي ثم رحل أبي بعدها بشهر هجري، حزنت عليهما حزنًا كبيرًا، ولم أروي مغامراتي في طفولتي لأولادي، فلم تعد الحياة هي الحياة، لكن برحيل الوالِدَيَن فقدت روح الانتماء للمكان، لم يعد شيء يبهجني، أصبح إحساسي بالحياة معدومًا.

نور البيت

في سابق المُدَّة... انطفأت الكهرباء ليلًا في قريتنا، أظلم البيت، وعمَّ السكون، ثبتنا في أماكننا مكتوفي الأيدي، تتصاعد أنفاسنا لم يجرؤ أحدٌ منّا على الحركة، ولم يبادر أيُّنا إلى حل... باستثناء أمي التي وثبت من مكانها ومدّت يدها إلى مكان الفانوس القديم وأشعلته.

تفاصيل الفراغ

فجأة أحس أن شمعة النهار قد انطفأت، وأن عينية لم تعودا صالحتين ليواصل المسير، فمشى على هدى قلبه متثاقلًا عدة خطوات، شعر أنَّ النور يعود إلى عينيه، تلفت حوله... اكتشف أنه قريب من فندق جميل، على جبينه ثلاث نجوم، تحسس جيوبه النظيفة من الريالات إلا من بقايا أوراق ريحان وكادي ذابلة، بعد أن راودته فكرة أن يجلس قليلًا في صالة الفندق الجميلة والمزدانة بالتحف والنفائس والتراث العسيري، ويجرب حياة الآخرين المترفة، لطمته المفاجأة على خده، فقد كانت جيوبه خاوية من النقود... والجلوس له ثمن في مكان جميل زكي الرائحة والبرودة، تحسس جيوبه الثلاثة، شعر أنه يمتلك قلمًا وورقة في إحداها...

بعد مفاوضات وجدال؛ لم يصل إلى حل نهائي مع موظف الاستقبال...

شدَّ حيله وخطواته إلى مبنى آخر كبير بلا نجوم، كان يعرفه جيدًا، دخل بهدوء، رحب به الموظف المسؤول، شعر أنَّ همومهُ قد غادرته وهو يرد التحية للموظف، أمسك بنفسه ثم تركها على سجيتها؛ لتختار ما تريد وهو يحدق فيها كأنه يخترق عالم الأحلام، ويبحث عن أسرار الحياة المخبوءة داخل جريان نفسه وانثيالها.

جلس إلى طاولة مستديرة كبيرة براقة، تذكرها جيدًا، فكم حوت من فرقاء متناحرين استطاعت أن تجمعهم وتفرقهم على مائدتها؟ سحب بعض كتب التراث من رفٍ قريب، فتح أولى الصفحات المغبرة، أخرج الورقة والقلم وبدأ يسقط ذاته على الموضوع أمامه، ويعيد اكتشاف ذاته فيه... كأنه قد وجد نفسه الضائعة وهو يرتحل داخل الصفحات المفتوحة في صالة المكان الهادئ، وهمس لنفسه: نحن نموت من أجل حقائق لا نجسر على السير في حياتنا بمقتضاها، بينما لدينا ما يدفعنا إلى تطلع وثّاب، إلى ما وراء الزمان والمكان، ثم طوى ما كتبه داخل تلك الورقة ومضى ...

ملاذ

بعد وفاة الأم بقي بيتها محل نازع بين الورثة؛ بعد الإتفاق بينهما... أخذ كل وارث من الأبناء ركن في ذلك البيت؛ يلجأ إليه ويشكي له همومه إذا أصابه خطب.

مُعترك

طول عمره كان يعطي بسخاء، كريمًا على الفقراء من حوله، يجود بماله على جاره السابع وجارته أم جميل، ويكرم صديقه أبو سعدى الضرير يعطيه من مال الله، لم يبخل عليهم يومًا، وفي رمضان والأعياد كان يجزل لهم العطاء خفية، والعم مرزوق العاجز في القرية الأخرى ينفق عليه مُنذُ سنوات بنفسٍ طيبة...

ولما أفلس "المُعطي" وصرف ماله على صحته، ولم يعد لديه ما يقدّمه لهم، نبذوه واتفقوا على نعتهِ بالبخيل والمُتكبر!

صنيع

تفاجأ ذات صباح بوجود جروين صغيرين بلا أم لدى الباب، لم يبرحا المكان، زوجته حنونة جدًا، أخذت تلقي لهما الطعام من النافذة ومن الباب، راق له صَنِيعها، بينما تذمر الجيران من وجودهما المزعج، وزوجته تمُدّهُما بالفتات كل يوم...

كَبُرَ الجروان وأحَبَّا المكان حتى أصبحا يرومان دخول المنزل...

هَمسَ في أذنِ زوجتهِ بضجر: "إياكِ أن تهتمي كثيرًا بالكلاب حتى لا أجدها يوما على سريري".

نهب

في ريعان مراهقته لم يكد ينجح في السرقة، هي مجرد محاولات فاشلة، أشياء صغيرة: نظرة، ابتسامة، كلمات لكن بعد أن اسْوَدَّ قلبه، سرقَ قلبها وكل تفاصيلها.

أنا وأشيائي

شرعتُ في ترتيب غرفتي كانت تعجُّ بالفوضى، لستُ محافظًا على أشيائي ومشترياتي كثيرًا؛ بل إني قريب من الإهمال، لدرجة العبث، هناك ساعات شبه جديدة ملقاة في الأدراج تدقُّ بخفوت، وأقلام ملونة في مقلميه تئن من الهجران، وأحذية جلدية تعطّفت من الرطوبة والحَر تقبع في صناديق خشبية، ضاعت منها جوز الرُجل اليسار وبقيت جوز اليمين والعكس، لم يبق لها فائدة، وكم طلبت منّي زوجتي أن أتصدق بأشيائي على الفقراء، وأنا أتكاسل وأنسى، ثوبي وشماغي وعطري ثلاثي كأصدقائي تضفي عليَّ الوقار، أحملها في الدروب، تقاسمني حر الصيف، تجلب لي الدفء في ليالي البرد، تشاركني همومي وأسراري، تحفظ انفعالاتي مثل ذاكرة داخلية، غير أن عطري يشيء بي في بعض الأحيان ولا أستطيع أن أُخْفيه، ينتشر في الأرجاء يمارس حريته، فلا

أحد يستطيع كبح جماحه، العطور وُلدتْ حِرة طليقة تطير مع النسيم، لكن مع الأسف تدخل كل الأنوف التي أحبها وأكرهها، ثوبي يبدو عليه الفتور لم يعد على مقاس جسمي السمين، لقد انكمش من الغسل المتكرر، وشماغي الأحمر قد أخرجت أثقالها وبان فتالها، وطاقيتي خالط لونها الأبيض الصبغة السوداء، وعِقالي سبب لي الحرج في استعماله سلاحًا للدفاع عن النفس، لكن لا بأس، لستُ غنيًا، الحال مستور، ولا يعنيني المظهر كثيرًا، أما ملابسي الداخلية بين الأديم والثوب، تعاني من اضطهادٍ داخلي، كانت أمي تتذمر من إهمالي لأشيائي، كانت تقول: "لو لم يكن رأسك مرتبط برقبتك لأضَعتَه". لقد أتعبتُ أمي كثيرًا وأنا طفل عندما أضيع أشيائي وأطلب منها أن تبحث عنها معي، ذات يوم دبَّ خلاف بين شماغي وثوبي، كل منهما يريد أن أرتديه في كل وقت وفي كل مناسبة وتحت كل سماء وفوق كل أرض، قلت: "حسنًا، سيكون معي من يكون نظيفًا، أنتما مكملان لبعض" سارعا إلى التنافس، كان الشماغ محافظًا على شموخه مثل رأس الكوبرا... نظيفٌ كالصابون، بينما عاد الثوب حزينًا إلى سلة الملابس المتسخة ينتظر الغسيل؛ ليعود ناصع البياض مجددًا، لقد باح بسري العائلي ذات

يوم، عندما أحتفظَ بلون أحمر شفاه تزين كتفي...
فأصبحت عِرضة لتهكم زملائي، وعطري الذي أحبه كاد
أن يتسبب في إحراق سيارتي من حرارة الشمس، من
غضبي عليه ألقيت به في صفيح القمامة مهشمًا،
وشماغي استبدلته بآخر؛ لوجود شعرات سوداء ناعمة
تتشارك مع فتاله، وثوبي الأبيض أعطيته إجازة إلى
الصيف، وساعاتي كرهتها؛ لأنها تظنُّ عليَّ بالوقت وأنا لا
أحب الانتظار، وأقلامي هجرتها؛ لأنها تذكرني بكتاباتي
الفاشلة... جمعت بعض أشيائي التي لم تعد صالحة لهذا
الزمن، ثم أسرعت بها إلى سوق الأشياء المستعملة،
بعتها بثمن بخس، عدتُّ حزينًا أتجرع حنين الذكريات،
تخنقني العَبرة؛ فلكل شيء من أشيائي مواقف لا تنسى،
لقد اندمجت أشيائي في فوضى الأثاث المستعمل، وربما
بيع كل شيء بمفردهِ وذهب إلى جهة غير معلومة.

انطفاء

وأنا طفل... كانت جدتي تقصُّ عليَّ قبل أن أنام حكاية الوحش الذي يلتهم الخِراف وهي حيَّة، كانت تُطلق عليه "أبو شَعَر بعينيه" ثم تطفئ السراج وتطلب مني أن أنام، لم تكن تدرك نوبات هلعي ولم تبصر تلك البقعة الدافئة التي تُبلل فراشي!

نهاية الأفق

عندما طلب إجازة من عمله بعد سنوات من العمل الشاق، كان التعب والإعياء قد امتص جسده مثل العلق، شرع من أول يوم في إجازته بعمل جدول لأوقاته، ينام ليله باكرًا كعادته... ويذهب في الصباح الباكر لرعي غنمه حتى المساء، يسقي أشجار "المانجو" في مزرعته قبيل الغروب، يساعد أطفاله في دروسهم بعد المغرب، يجلب طلبات المنزل بعد العِشاء... ثم يداعب زوجته وينام.

حدّث نفسه:

- "العمر عمل للآخرين وللزرع والحرث والأغنام، وأنا كالآلة... واهم من يعتقد أن الحياة راحة، الإنسان في كبد من ولادته وحتى مماته"

قرر أن يُسعد نفسه، فعمل متطوعًا يوزّع الماء على المساجد... شعر براحة تسري في قلبه، لكنه تذكر أن ذلك عمل أيضًا...

انتهت الإجازة وهو كالشمعة تضيء وتحترق وبريقها ينير للآخرين الدروب، عاد لعمله يخدم الناس، وفي المساء يرعى ويسقي ويجلب الحاجات لمنزله، تعوّد جسده على العمل، تمرق سنواته سريعًا، وعلى حافة الستين توج مسيرته بشهادة شكر علّقها على جدار منزله، بعد التقاعد عاد يبحث عن نفسه وصحته فلم يجدها، لقد شاخ وانطفأ سراجه وصحته في تراجع، أصبح ينسى كثيرًا ومنسيًا كسقط المتاع... شاخ هوَ وكبُرَ أولاده ودبّت بينهم الفوضى والأنانية...

قبل أن يودِّع الحياة كان ضيفًا ثقيلًا لمدة قصيرة في دار المسنين والعَجَزة.!

إحياء

في المقهى الذي تم افتتاحه مؤخرًا في المحافظة، يعمل فيه فتيات عربيات يقدمن المشروبات للزبائن، زبائن كبار في السن أتوا من أجل كوب شاي وكلمة ناعمة، منهم من لبِسَ الجديد وصبغَ شعره الأبيض إلى الأسود اللامع.

تناهيد

لم يكن بوسعهِ فعل شيء لها حتى تبتسم، فالموقف لا يحتمل انفراج الشفتين ولو بربع ابتسامة، كان متلهفًا لرؤية ابتسامتها التي لم يرَ مثلها في الوجود، كانت منكسرة متجهمة ككسوف كلّي للقمر، كان يحاول في تلك الدقائق القاتمة أن يرسم على فمها ابتسامة، أن يسقيها رحيق النسيان بنكهة الصبر، أن يكون مهرجًا أو ممثلًا... حتى تبتسم، لكنه فشل! تشجع ولملم أنفاسه وكلماته وقال لها:

- الورد إذا لم يشرب الحياة والأمل سوف يَذبُل ويموت، علينا أن نحزن... ولكن ليس على الدوام؛ فالحزن ينخر أجسادنا المتعبة.

قالت:

- أصْمُت

- صمتي كلام.

- إن لم تصمت... سأنصرف وأترك لك المكان.

يعلم أنها تحبه إلى ما لا نهاية، قال لها:

- أنا معك جسدًا وقلبًا في كل مكان، أنا كظلك، كملابسك، كأنفاسك، كأحزانك...!

قاطعته بتأفف، خرجت من صدرها كرياح صيف لاهبة، أحسَّ بارتياح لتأففها، تلك الصخرة بدأت تنزاح رويدًا رويدًا، قال لها:

- خطيبك ليس حبيبك...

نهضتْ مثقلة وانصرفت كنسيم ليل شتائي، غير أن ذلك الليل الذي أظلّهما وفرَدَ جناحيه لم يكن في سمائه قمر، لكنه رأي بياض وجهها، وجه آخر للقمر كصفحة بيضاء، مثل وردة كالدّهان، وحزن لما تعاني من فقد عريسها المنتظر، مرت شهور على وفاته، لم تكن تحبه لكنها كانت تودّهُ وتحترمه بحكم القرابة

حدّث نفسه: - أحيانا القدر يجمع بين العشاق بعد شتات وقد ظنّا ألاّ تلاقيا، ولولا أن كان قريبها لما وافقت عليه، ها هي تعود له مبثوثة المشاعر بجروح التشاؤم والحزن، لكن عليه أن يخرجها من حزنها، أن يعيدها سيرتها الأولى، أن يشرع في ترميمها مجددًا... مثل ما كانا صغارًا، يلعبان في الحقول، مثل عصفورين صغيرين، هي تعتقد أنها سبب وفاته وليس القدر المكتوب.

استطاع بعد محاولات وجهد ووعد بالزواج أن يحررها من عقدة الإحساس بالذنْب، في ذلك اليوم "عندما طلبتْ من خطيبها أن يجلب لها هدية؛ لحضور زواج صديقتها من أسواق إحدى المحافظات البعيدة ووقع عليه حادث سير ومات" وبعد شهور وعام من وعده لها بالزواج... لم يجد وظيفة، طال الانتظار وداهمهما الملل، مر عامان كان الحب قد فتر وذبل... تزوجت من نصيبها وهو تزوج من نصيبه.

قال في نفسه: ليس علينا أن نتزوج من نحب وأن نقضي باقي العمر معه، لكن علينا أن نتزوج من لا نحب ونقضي العمر معه، ونسمي ذلك شريك حياة...!

كيان

عندما أصبح في الثلاثين من عمره... بحث عن سرير الطفولة وهندوله ورضاعته وملايته وملابسه وذكريات طفولته... وَجَدَ كل ذلك، لكنه لم يجد أُمه.!

همزة قطع

واختصرت الجملة في كلمة، ثم اختصرت الكلمة في حرف، ثم ذاب الحرف في فمي مثل السكر، وعليَّ أن انتظر عمرًا آخر؛ كي استحضر ما أود قوله وما أنا بصدده، وغلبت عليَّ شُقوتي ونال مني الحزن حتى كاد أن يسلب مني الروح ويمتص ثباتي كالعلق، وأنا أحمل عفشي وجسدي، بينما بقيت ذكرياتي في مسقط رأسي، بعد خمسة عقود بالتمام والكمال... ها أنا أرحل إلى محافظة أخرى مزدهرة لكنها خالية من الذكريات ورائحة الطفولة والأجداد، بيتي الجديد يسر الناظرين، متردد عليه كل يوم والغصة تملأ صدري كأنَّنِي غريبٌ عنهُ! بلا جذور غير جدران مصبوغة بالألوان، أسحب الهواء والحرارة تسلق جسدي، رحلتُ من أرض باردة إلى أرض حارة، أجابهُ الأصدقاء الذين سبقوني هناك... نتفق في الظروف وتغمرنا الديون، يسكبون عليَّ بعضًا من عبارات التشجيع... أتظاهر بالتماسك والصلابة، المسكن الأول له بهجة ليست في داخلي بالطبع؛ فالثمن باهض،

- صدقني سوف ترتاح في بيتك الجديد، قالها صديقي!

- كيف لي بعد هذا العمر أن أرتاح؟ قلتها بغصة... أحمل أمتعتي وتتساقط، أعاود في لملمتها ومعها أُلملمُ أوجاعي، أتشجع وأتظاهر بالفرح؛ حتى لا تشاهد ذلك عائلتي المبتهجة بما حققت لهم من إنجاز موجع، أُظهر لهم سروري وانشراحي وهم يعدّون الأيام للانتقال في بيتهم الجديد، يحملون معهم أحلام المستقبل... كل واحد له غرفة لامعة وحوشٌ فسيح يلعبون فيه، كان حلمي من سنوات في منزل جديد، لم أعلم أن بعض الأحلام تتحقق بضريبة موجعة، لكن لم أكن أتقبل فكرة الرحيل! غير أني لم أبيّن لهم حزني، جيراني يودعونني بحرارة...

- سنفتقدك يا جارنا الطيب.

- وأنا كذلك... جيراني طيبون، كانوا مثل الأهل، أنتقل لبيت جديد بلا ذكريات ولا جيران... مرهق ومتعب كأنني أركض منذ ولادتي، ليس لي إلا أن أتجلد وأصبر على مُر الليالي والأيام، ذلك الفرح الطاغي في وجوه أبنائي أزال عني بعض الهم، ولعل في كل شيء خِيرة... هكذا كنتُ أعلل النفس...!

الدّواج

لم يعد يفتن النساء، ولم يعد يشكّل خطرًا عليهن بعدما اشتعل رأسه شيبا، وتَعَطَّفَ وجههُ... وصِرْنَ ينادينه:

"يا عم، يا جد، يا والد!"

وجع كورونا

طَفِقَت زوجته تَخصِف عليه من أوراق المناديل ونتف القطن المبللة بالماء البارد، كلما رأى كابوسًا جاثمًا يهّمُ بعقله... أطفأته بمسحة ماء وتعاويذ وحنان لم يعتد عليه، رفض بحبور وتشنج أن يذهب إلى المستشفى القريب، هو لا يريد أن ينصدم بخبر إصابته بالوباء المنتشر في مفاصل وأوردة الحياة، بعد أن خارت قواه بخبر صعوبة إنجابه... والذي نزل عليهِ كبرق حلَّ في شيطانٍ راقص.!

حرارة ألهبت جسده الغض... كأنما يقف تحت شمس الصيف، في صحراء الربع الخالي الحارقة، كوابيس تهد حيله السقيم، أنفه يسيل كينبوع ماء حار، والسعال يحبس أنفاسه كالمسامير، عجزت زوجته في التعامل معه، لقد أصبح قاسيًا عليها، ليس ذنبها أنها لم تحمل رغم سنواتها الخمس، لدرجة أنهُ طلب منها الابتعاد عنهُ، بل إنَّهُ هدّدَ بطلاقها إذا لم تغادر إلى أهلها في

الحال، توسلت إليه بكل عظيم أن يعدل عن قراره المُرْ، لكن بلا جدوى، هان عليه مرضه في سبيل أن تبتعد عنه تلك الفترة الموجعة، وهي ترفض أن تتخلى عنه في محنته، شيمتها والعِشرة والمودة تمنعها من التخلي عنهُ وقت الشِدة، لجأت إلى غرفة محايدة تراقب مصيره، ترسل له طعامه وشرابه إلى باب غرفته ثم تُولِّي هاربة، تصلها رسالة:

"قلتُ أغربي عن وجهي..."

"تعوذ بالله من الشيطان يا ابن الحلال!"

"قلتُ أذهبي وكفى!"

كانت كوابيس الرهاب الاجتماعي تباغته كسهام المغول، غير أن حلمًا جميلًا تسلل لمخدعه المبلل بالعرق والسخونة " يشاهد والديه المتوفين منذُ عقود يجلسان إلى جواره وأمه "تلاغيه" وتهدهد به في المهد؛ لينام، يبتسم لها ابتسامة الوليد، وراحة كفها الناعم كسحابة باردة تلامس جبهته.

" لا تقلق يا طفلي ووحيدي أنا بجانبك "وأبوه يربت على كتفه ويمسح على رأسه بحبه المعهود، يطلب منه أن يكون رجلًا يعتمد عليه، أن يصبر على مواجع الحياة:

"لأنك ستكون أبًا رائعًا يا ولدي".

عاد طفلًا في أيام حمّى نحسات لم يتبين كُنهها، أضغاث الوباء جعلته يتهيأ لحضور الأموات، تمنى بقاءهما لجواره، قبل أن يُصطدم بواقع الوحدة والمرض والجدران والصمت التي تكسو غرفته الموحشة...!

حتى عادت إليه بعد أسابيع صحته، فكأنما عاد من جبهة حرب ضروس وهو بلا سلاح يرجو النجاة، فقدَ خلالها الإحساس وإحدى عينيه، زوجته التي ذهبت إلى أهلها مغاضبة، وخطفها الوباء في مستشفى النساء والولادة وهي حامل في شهرها الأول...!

هجران

زرتُ شجرة في بيتنا القديم، كانت أمي قد غرستها مُنذُ قِدَم، رأيتُها بلا ظِلّ، تعانق أغصانها الأرض... أوراقها اليابسة تشكلّت على شكل دموع.!

موعد أمي

في بهو المستشفى الطويل، أسارع الخُطى وأمي تمشي ببطء، أطلب منها أن تسرع في المشي؛ كي ندخل للطبيب في موعدنا المحدد.

قالت:

لم استعجلك لتخرج للدنيا، ولم أطلب منك أن تمشي قبل أوانك عندما كنت طفلًا...!

قلت لها: لم يكن أحدٌ بانتظاري...!

قاطعتني: يكفي أنني كُنتُ بانتظارك.

وصلنا باب العيادة المؤصد، جلسنا ننتظر، أخبرونا أن الطبيب لن يأتي ذلك اليوم!

مخالفة

شارد في العتمة، مع الصخب، يجلس على قارعة الطريق، يتخيل أن يعالج مسؤولًا فيسهب لهُ العطايا، أو يظفر بفانوس سحري، أو يجد كنزًا أثريًا في منزله، أو حقيبةً ممتلئة بالمال يجدها لدى الباب...

أفاق على رسالة نصية تخبره بتسجيل مخالفة الإسراف في الأحلام.!

نحس

بعد التقاعد، قرر أن يفتح مشروعه الحلم "مطعم"،
الافتتاح كان مبهجًا، كل شيء على ما يرام،

في اليوم الأول الوجبات مجانية، كل من تناولها تسمم!

مطبات

ذهب إلى الخياط ليفصّل له ثوبا شتويا... كانت تضاريس جسدهُ تُعيق انْسِيابيَّة القماش!

أقنعة

ولمّا التقت به كان الوجوم على وجه ظاهرًا، قلت: ابتسم فالحياة "لاش".

قال متنهدًا: حتى لاش بثمن لا أقدر عليه!

قلت له: وما الفائدة؟ يا نضحك سويًا أو أن أشاركك الحزن.

حاول مجاملًا أن يبتسم ويخرجنا من جو الكآبة، وانطلقنا في تبادل النكت كاثنين على الطريق... نخفي همومنا خلف قناع السعادة.!

هروب

في اليوم السابع والعشرين من كل شهر... يغلق هاتفه من الصباح الباكر، يعيش حالة هدوء لمدة ثلاثة أيام بعيدًا عن الصخب الافتراضي.

من الدار للنار

بلا سبب... قامت وخلعت زوجها الطيِّب، كَردَة فعل منه تخلّى عن أطفاله، لجأوا لها، لم تستطع أن تخلع عاطفتها... فدخلت في دوامة المسؤولية!

مُنتج

أمام مرآتها المقعّرة... طفقت تفلي شعرها، جمعت القمل من غابة رأسها الأشعث، نشرت إعلانًا عن قمل للبيع يساعد على كثافة الشَّعَر!

سلف

لطالما "تهكمَ" عليه زملاؤه في العمل على كل صغيرة وكبيرة، وهو يتقبّل ذلك بصدرٍ رحب وبروحٍ رياضية مفعمة بالطِّيبة... ولما أتته الفرصة في رد بعض من الدَين لهم غضبوا منهُ ونبذوه وراء ظهورهم...!

جولة تخيلية

ذات نهار خرج الأب من إطار الصورة يتجول في منزله الذي رحل عنه قبل سنوات خلت، ارتسمت على محياه الدهشة، المنزل خالٍ من الأنفاس! وقد كان يومًا يضج بالصخب... تنفس الغبار الذي يُغلف كل شيء، أطلَّ من النافذة، لم يعد للمنزل باب وجزء من السُّور مهدوم، الأشجار المتسلقة على جدران المنزل كأنه كوخ لأشباح وسط الغابة، الهواء يعبث بالأبواب والنوافذ مُحدثًا أصواتًا مخيفة، والعثّة سكنت في خشب الأرائك التي كانت تتعالى بالضحكات وليالي السَمر، والعصافير بنت أعشاشها في النوافذ، هديل الحَمام على الشُرفات، والنمل الأبيض يبني أنفاقًا من الطين على الجدران وفي العَرَصَات، والعناكب نسجت خيوطها الواهنة على الدلال والفناجين... تخيلَ كيف كانت الحياة في ذلك المنزل؟ لكنهُ لم يجد غير الصمت والاندثار، ورائحة الماضي تفوح بالعفن، ألقى على المكان نظرة الوداع، ثم عاد إلى إطارهِ... وشريكة حياته بجانبهِ ترمقهُ بنظرة حزينة من إطارٍ مماثل.!

لا مبالاة

كان كلما غضبت منه أحضر لها وردة حمراء، وكلما مرضت أحضر لها وردة بيضاء، كانت تدّعي الألم وتختلق الغضب، لقد تحول البيت إلى ما يشبه محل الورد الطبيعي، لكنه كان يغضب ويمرض... ويعض أصابع الندم !

الأنف العجيب

لطالما كان يحب العطور وهي صفة طيبة فيه، لكنهُ كان يحشر أنفهُ فيما لا يعنيه... وذلك ما كان يُعِيبه، وذات يوم أشترى عطرًا غاليَ الثمن... أثار عنده حساسية الجيوب الأنفية، واستجلب عطاسه، فعرضهُ للبيع بنصف ثمنه..

جزاء

وجدَ قطة صغيرة في الشارع بلا أم وبلا مأوى... أعتنى بها، أطعمها وسقاها، علّمها فنون القتال... وعندما كبُرت قتلت ثعبان كان يهمّ بطفلهِ الصغير.

بلا عودة

كانت طفلة تلعب وتمرح تحت تلك الشجرة المعمرة في حوش منزلهم، تفيئهم ظلالها ويحتمون تحتها من المطر وتنثر رائحة عطرية، لقد عاشت عقودًا طويلة بأغصانها المنتشرة في كل اتجاه، تنقش عليها حروف البدايات، طفلة يتيمة تعيش مع جدها في تلك القرية النائية، تبني منازل من حجز وتحفر أخاديد صغيرة في طين لازب، مع بَهَم جدها تلاعبهم، في مشهد سينمائي مخاتل، لقد ولدت للعب والرعي، تنزل الوادي مع الأغنام في رعاية جدها:

- جدي أأقطف هذه الوردة؟

- لا إنها سامة!

- إنها جميلة.

- نعم لكنها سامة... تنفر منها إلى شجرة أخرى ووردة بلون آخر كأنها نحلة، يرمقها جدها بعينين دامعتين، وقلبه يتألم على طفلته اليتيمة، لقد بات عليه أن يودعها في دار الحضانة حتى تدرس وتتعلم؛ فقد بات عاجزًا عن رعايتها، وهي لا تدري عن شيء... أخذها جدها للدار بحجة أنهما ذاهبان للسوق.

ودّعها بدموع تخضب لحيته البيضاء وهي تتشبث به:

- جدي لا تتركني هنا...!

- ستكونين بخير هنا، وأنا سأزورك دومًا، لكنها لم تهدأ واستمرت في البكاء والتشبث بِهِ، قال لها:

- إذًا، سوف أذهب وأجلب لكي بعض الحلوى وأعود...

بالأمس تزوجت "طفلة" الأمس، وهي لا تزال تنتظر عودة جدها.

حرمان

أول "سيكل" يحصل عليه وهو طفل، وجدهُ مُلقى في القمامة لم يتبقَّ منه إلا عجلة واحدة فقط، ذلك الطفل الذي عاف سيكله أصبح يمتلك سيارة فارهة!

ردة فعل

كان أبي دائمًا يرسل أحد إخواني في شؤونه... ويتجاهلنا، يقول عنه أنهُ "تكْلِه" ينفذ ما يُطلب منه وما هو بصدده بجودة وسرعة، وعندما غاب أخي "التِّكْله" بحث أبي عنّا؛ ليُرسل أحدنا مكانه، لكنّا هربنا وتفرقنا و"إنْدَسِنا" ولم نستجب لنداءاته ووعيده، كردةِ فعل منّا لا أكثر...

نكسة

كان يرى الأشياء على حقيقتها، دقيق الملاحظة، بعيد النظر...

لكن بعدما حصل له حادث ما أصبح يرى الأشياء مُتباينة!

مرحلة

بعد التقاعد... لم يعد ذلك الأبيض الوسيم صاحب الكاريزما الجاذبة والمدير الفَذّ.!

لقد تغيرت هيئته وزادت تجاعيد وجهه وبُليت ثيابه...

لا يُشاهد كثيرًا في ديرته لظروف "الكِدَادَة"، يجوب الطرق الطويلة من وإلى المدن الأخرى، يطارد الرزق في نقل الركاب.

موقف

أقبل نحوي وأنا متشبث بمقود سيارتي، واقف أتأمله في ذهول لم أشاهده من قبل، قد أثقل الإملاق ممشاه، ثيابه رثة، منظره بائس، حذاؤه ممزق، والتجاعيد تغم على ملامحه، في السبعين من العمر... بادرته بعبوس:

- الله يرزقك يا والد... ظروفي يعلمها الله، قال إنه مقطوع من شجرة، لا تتصوروا دهشتي وهو يطلب مني أن يُودِع في حسابي مبلغًا كبيرًا من المال!

نكوص

من المثقفين الكبار يشار له بالبنان، ولكي يُريح باله استبدل ذاكرته الثقافية بذاكرة أخرى لا علاقة لها بالثقافة، وعندما سُئل عن قضية ثقافية... كانت إجابته لا علاقة لها بالقضية بل كانت عن "الأغنام والنحل والحرث والزرع والمزارع والمطر والطيور وتعدد الزوجات...

أنفاس

تتحرك في داخله الهموم، تحبس أنفاسه، يشعر بالاختناق، يفتح النافذة؛ لكي يتنفس... يبصر رجلًا في الشارع يحمل على ظهره أنبوبة تمدّه بالأكسجين...

انزياح

دفعَ عشرة ريالات لعامل من جنسية عربية في الشارع؛
كي يتكلم معه نصف ساعة ويفضفض ويشكي له
همومه!

يقول: أحسستُ أن صخرة كانت مُطبقة على صدري
انزاحت...

تكبيس

آلاف المعجبين يتابعون مقاطعه، كل يوم يترقبون جديدهُ، يبذل من وقته وجهده الكثير من أجلهم... وحين تعرّض لحادث سير لم يسأل عنهُ متابعوه ولم يهتم لغيابه أحد...!

بينما بقيت زوجته إلى جواره... وهي من كانت بالأمس تنتظر شيئًا من وقته؛ الذي بخل بهِ عليها من أجل تصوير مقاطعه!!

موهبة

بعد أن وُلِدَ بوجهين، حاول أن يحترف التمثيل، إنَّهُ يجيد التقمّص والاندماج في الشخصية، شارك في مسابقة لاكتشاف المواهب، منَحتهُ لجنة المسابقة طريقًا لدورٍ كبيرٍ في مسلسل "نِفاق".

خلائف

سقطَ من سراةٍ إلى القرية، خلّف ذُرِية، أطلقَ عليهم بشرًا، انتثروا في الدروب، ورثوا عنه صفاته، استخلفهم في القرية، عاثوا فيها فسادًا.

مقال أدبي:

عمَس الكتابة واحباطات المثقف...!

سأبدأ مقالي هذا بسؤال غريب: هل يَكرَه الأديب مؤلفاته...؟!

يحدث أن تُرهق نفسك عقودًا في القراءة والتأليف والنشر، ثم تتفاجأ بأن مؤلفاتك لم تجد الصدى الذي كنت تأمله لأسباب كثيرة!

فينقلب شغفك للتأليف إلى كُره وتذمر وسخط، وكم سمعنا عن أدباء احرقوا مؤلفاتهم؛ لعدم قناعتهم بما تحويه بين دفاتها، أو لأي اعتبارات أخرى، المؤلف مثل "أبُ خلّف أبناء كُثر ولكنهم خذلوه عندما طلب برهم عند عَجزِه" يا لها من خيبة وحسرة...!

وبعض الأدباء عزفوا عن الأدب والثقافة؛ لإفلاسهم وانطواءهم، أو لإحساسهم أن كتاباتهم وأفكارهم لا تتفق مع ثوابت المجتمع... ومع الدِين على وجه الخصوص.

ثمَّةَ مشاعر مُحبطة تنتاب الأديب الذي أصدر كُتبًا في الشعر أو السرد أو غير ذلك، لكنها لم ترق لطموحاته، ولم تجد صدًا ولم تُشْهُرهُ، فإنَّهُ ينقلب ذلك إلى حسرةً وانكسارًا ووبالًا عليهِ، والكل يعلم مدى معاناة الأديب في التأليف: بدءًا بالفكرة وانتهاءً بالتوزيع، وما يلحق ذلك من تعاطي القراء والنقاد مع إصداره "بما له وما عليه".

لكن الأمر قد يتحول لدى بعض الأدباء إلى "صدمة أدبية" تُحْدُث لهم نوبات من الكُره والنفور من إصداراتهم أو بعضها، فيلجؤون إلى إتلاف مؤلفاتهم أو إحراقها، وسحبها من دور النشر ومن الأسواق، ويمتنعون من إهدائها لآخرين حتّى... بل قد يصل الأمر بهم إلى التأثر سلبًا بتذكرها وذكرها، ولا يريدون سماع أي شيء عنها.

وكم من كتَاب سبب لمُؤلفهِ "نفْسِيِّة" وأصبح كابوسًا يطاردهُ أينما ذهب وحيثما جلس، وذلك بنقد بعض القراء والنقاد في إصداره الذي قد يتحول إلى "تهكم

وسخرية وانتقاص " وقد يَسمونه بصاحب الكتب الفاشلة أو الكاتب سيء السمعة، يقال: أن الأدب مهنة الفقراء، وهي أيضًا مهنة الأغنياء، يتخذها الأديب الفقير نافذةً لعرض معاناته وبؤسه، أما الغني فيتخذها للتباهي وزيادة البريستيج، والأدب والثقافة بشكلٍ عام سلاح ذو حدين، قد يكون لها آثارها الإيجابية أو السلبية على الكاتب والمجتمع، وقد تكون الكتابة سبب تعاسة الأديب أو سبب سعادته، وعندما يصل الحال بالأديب أن يكره مؤلفاته ويهرب منها؛ فتلك علامة فارقة على إفلاسه.!

"عَمَس" الكتابة والتأليف قد تكون سببًا في معاناة الأديب نفسيًا واجتماعيًا ومعنويًا، فعندما يرى جهده وتعبه وسهره وقلقه لسنوات تذهب سدًا؛ فإنهُ يتحطّم ويتحول شغف الكتابة لديه إلى فتور وكآبة، ومع الوقت يكره الكتابة، وهذه صور من نكوص بعض الأدباء واحجامهم عن مواصلة العطاء الثقافي والتأليف، وميولهم للعزلة والصمت والاختفاء، مالم يجدوا التشجيع والاحتفاء بهم ونشر عطاءهم وتسليط الضوء على إصداراتهم، ودعمهم في توزيعها وتكريمهم والقضاء على الشللية التي تهمشهم، وإيجاد مظلة للأدباء جميعًا

والكل تحتها عضوًا فاعلًا؛ لأن صدمة الأديب في فشل إنتاجه صدمة مؤلمة... قد تُبعدهُ عن الساحة الثقافية إلى الأبد.

سيرة المؤلف

- عيسى مشعوف الألمعي

- قاص وروائي سعودي - ولد في رجال ألمع

- موظف في التعليم

صدر له:

- قفص الإنسان - قصص قصيرة - مركز الحضارة العربية 2005م - القاهرة

- الناس - قصص قصيرة - نادي أبها الأدبي 2005م

- ضعيف الله - رواية - مركز الحضارة العربية 2008م - القاهرة

- فتوى - رواية - دار طوى 2014 م - لبنان

- إيقاعات العبور- قصص قصيرة - نادي أبها الأدبي 2015 م - الانتشار العربي - لبنان

- تهاويل - قصص قصيرة - دار النابغة - القاهرة 2018م

- فخاخ الواقع - قصص قصيرة - دار النابغة 2019م

- تناثر الحطام - مطبعة الحميضي - الرياض 2020م

- عَمَس – قصص قصيرة جدًا - الانتشار العربي 2022م

للتواصل/ alwafe11a@gmail.com

موبايلي /96653016059